الغارديان: الهجمات اللاإنسانية على رفح ليست مصادفة بل جزء من استراتيجية الجيش الإسرائيلي الوحشية والخاسرة

نشرت صحيفة "الغارديان" مقالا للأستاذ الفخري لدراسات السلام في جامعة برادفورد، بول روجرز، قال فيه إن مقتل ما لا يقل عن 45 فلسطينيا في المنطقة الإنسانية بالقرب من رفح أثار غضبا وصل إلى ما هو أبعد من منطقة الشرق الأوسط. ومع ذلك، فمن المتوقع أن يستمر الهجوم الإسرائيلي، حيث تم رصد عدة دبابات إسرائيلية في وسط رفح أمس الثلاثاء، حسبما قال شهود لوكالة رويترز للأنباء.

وأشار إلى أن ذلك يأتي بعد أن طلبت المحكمة الجنائية الدولية إصدار أوامر اعتقال بحق بنيامين نتنياهو ووزير الدفاع يوآف غالانت، إلى جانب ثلاثة من كبار قادة حماس – جميعهم بتهمة ارتكاب جرائم حرب مزعومة.

وبشكل منفصل، طالبت محكمة العدل الدولية إسرائيل بوقف هجومها على رفح، وبدا الأمر لبضعة أيام في الأسبوع الماضي أن هناك دلائل تشير إلى أن إسرائيل تمتنع عن شن هجوم شامل. وأفاد معهد دراسة الحرب، ومقره الولايات المتحدة، أن قوات الدفاع الإسرائيلية كانت تستخدم "قدرا أقل من القوة الجوية والمدفعية، وقنابل أقل وأصغر حجما"، حيث يقوم الجنود بـ"تطهيرالمناطق الحضرية سيرا على الأقدام".

وانتهى ذلك بقصف منطقة تل السلطان، حيث تسبب هجوم الجيش الإسرائيلي في حريق هائل في منطقة خيام للنازحين.

[illegible]

وأكد الكاتب قد يصف نتنياهو الغارة الجوية بأنها حادث مأساوي، لكن هذا لا يخفف من وطأة الهجمات الإسرائيلية المستمرة التي استمرت

أكثر من سبعة أشهر والتي أسفرت عن مقتل ما يقدر بنحو 35 ألف فلسطيني وإصابة حوالي 80 ألف آخرين، بالإضافة إلى ما يصل إلى 10 آلاف شخص آخرين في عداد المفقودين، الذي يعتبرون في عداد الموتى.

ويرى الكاتب أنه في الحرب التي تتجه نحو شهرها التاسع، ظلت حكومة نتنياهو تؤكد مرارا وتكرارا أن إسرائيل تستخدم القوة ضد حماس، وليس ضد المدنيين، لكن هذا يتعارض مع السلوك الفعلي لهذه الحرب وطريقة القتال الإسرائيلية برمتها.

وأكد إنه منذ البداية، كان الجيش الإسرائيلي يوسع هجماته إلى ما هو أبعد من الوحدات شبه العسكرية التابعة لحماس. وكانت المدارس والمستشفيات ومحطات معالجة المياه وما شابه ذلك من الأهداف المبكرة، وكذلك الصحافيين وعمال الإغاثة والطواقم الطبية. وذكر أن الجامعة الإسلامية هي واحدة فقط من جامعتين فلسطينيتين (إلى جانب جامعة بيرزيت في الضفة الغربية) وصلتا إلى التصنيف العالمي، وقد تعرضت للقصف بعد أقل من أسبوع من الحرب. ومنذ ذلك الحين، دمرت أو تضررت كل جامعة في غزة.

وشدد الكاتب على أنه يعتقد أن التدمير المتعمد للبنية التحتية المدنية أمر شائع بشكل مثير للقلق في حروب المدن الحالية، سواء من قبل روسيا في ماريوبول أو غروزني، أو الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا في الموصل، لكن التدمير الإسرائيلي المطلق في الحرب لم يتفوق عليه أحد. وبحسبه قد يشكل هذا الاستخدام "للقوة غير المتناسبة" امتدادا لعقيدة الضاحية، الذي يُعتقد أنها نشأت في أحد أحياء بيروت أثناء حرب إسرائيل عام 2006 في لبنان ضد حزب الله. فهي تنبع من قبول الجيش الإسرائيلي، والذي نادرا ما يعترف به علنا، بأنه يكاد يكون من المستحيل هزيمة التمرد الراسخ في المناطق الحضرية ــ وخاصة إذا كان المتمردون على استعداد للموت من أجل قضيتهم.

ويشير الكاتب إلى أنه بالعودة إلى الحصار الذي فرضه الجيش الإسرائيلي على بيروت الغربية في عام 1982، والذي تكرر في عام 2006 في لبنان وحروب غزة الأربع التي سبقت الصراع الحالي، فإن الأمر يتوقف على فهم ضمني مفاده أن الخسائر الإسرائيلية في عملية مكافحة التمرد في المناطق الحضرية تصبح مرتفعة للغاية. وهي في نهاية المطاف غير مقبولة سياسيا، حتى لو كانت الخسائر الفلسطينية أكبر بـ 10 أو 20 مرة.

ويقول إنه بموجب عقيدة الضاحية، يتم استخدام القوة على نطاق واسع وطويل الأمد ضد السكان المدنيين بشكل عام من أجل تحقيق هدفين محددين: الأول قصير المدى – تقويض الدعم المقدم للتمرد، والهدف في غزة هو جعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة لحماس للعمل. أما الخيار الثاني فهو طويل الأمد، وهو العمل كرادع للحركات شبه العسكرية في المستقبل من أي نوع، سواء في غزة أو الضفة الغربية المحتلة أو جنوب لبنان. أي أن ما حدث لغزة هو نفس ما سيحدث لأي حركة تتحدى الأمن الإسرائيلي هناك أو في أي مكان آخر.

ويؤكد أن أحد أوضح التحليلات لهذا المبدأ موجود في المجال العام: القوة غير المتناسبة: مفهوم الرد الإسرائيلي في ضوء حرب لبنان الثانية. وقد نشره المعهد الإسرائيلي لدراسات الأمن القومي في عام 2008، بعد عامين من حرب لبنان الثانية، وهو يعرض بالتفصيل آلية عمل هذه السياسة، ولكن من الصعب التوفيق بين ذلك وبين المذبحة والدمار والقتل التي شهدتها الحرب الحالية.

ويرى أنه لكي نفهم ذلك، ولماذا يحتفظ نتنياهو بالدعم الكافي لمواصلة الحرب، فلابد من الاعتراف بعنصرين آخرين. الأول هو التأثير الدائم لهجوم حماس العام الماضي. وحتى مع ارتفاع عدد القتلى الفلسطينيين منذ ذلك الحين، فإن الخسائر الإسرائيلية في 7 تشرين الأول/ أكتوبر ما زالت تهز المجتمع الإسرائيلي حتى النخاع.

[illegible]

ويشير إلى أنه لعقود من الزمن ظلت إسرائيل تعيش في حالة من التناقض الأمني: حيث تبدو إسرائيل منيعة ولكنها غير آمنة على الدوام، وذلك بسبب الصراع الأساسي حول الأرض والشعوب. وسوف يستمر "فخ انعدام الأمن" هذا إلى أجل غير مسمى ما لم يتم التوصل إلى تسوية عادلة مع الفلسطينيين. ويضيف أنه علاوة على ذلك، قد تعتبر إسرائيل نفسها دولة ديمقراطية، ولكن إذا أخذنا في الاعتبار كل الأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل، فإن السكان غير اليهود في "إسرائيل الكبرى" هم الذين يتمتعون الآن بأغلبية إجمالية صغيرة.

والعنصر الثاني، حسبه، هو أن الحرب تسير بشكل سيئ بالنسبة للإسرائيليين. وعلى الرغم من استخدام الجيش الإسرائيلي للقوة على

نطاق واسع وتدمير جزء كبير من قطاع غزة، إلا أن حماس لا تزال باقية وتستمر في إعادة تشكيل نفسها. و يؤكد أن فشل الجيش الإسرائيلي أصبح واضحا منذ عدة أشهر، لكن حكومة نتنياهو ليس لديها مكان آخر تذهب إليه، ولن يتخذ بايدن بعد الخطوة الرئيسية الوحيدة المتمثلة في قطع جميع شحنات الأسلحة إلى إسرائيل. وما دامت الولايات المتحدة، وبريطانيا، ترفض قبول قرارات المحكمة الجنائية الدولية ومحكمة العدل الدولية، فإن نتنياهو قادر على البقاء.

ويختم الكاتب بالقول إن هناك علامة واحدة تبعث على الأمل: وهي أن المزاج العام في إسرائيل يتغير ببطء ولكن بثبات، كما أفاد مراسلا صحيفة الغارديان بيثان ماكيرنان وكيكي كيرزينباوم أمس. فبعد الهجوم الذي شنته حماس في شهر تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، تصور 70% من الإسرائيليين أن الحرب لابد أن تستمر إلى أن يتم القضاء على حماس، ولكن استطلاعا للرأي أجري مؤخرا أظهر أن 62% من الإسرائيليين يعتقدون أن هذا أصبح مستحيلا الآن. ولا تزال إسرائيل مجتمعا يعاني من استقطاب عميق، لكن هذا يعني أنه من الممكن أن تأتي نهاية الحرب من الداخل.

صحيفة الغارديان البريطانية

ترجمة: إبراهيم درويش